الفكر القضائي عند الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة

The judicial thought of Imam Ali (peace be upon him) in Nahj al-Balagha

م.د. مسلم طاهر حسون [1]

Lect. Muslim Tahir Hassoun (PhD)

الخُلاصة

لم يكن الامام علي عليه السلام مجرد شخصية تاريخية اسلامية مرت سيرتها وانتهت فتأثر بها من تأثر وجحد مقامها من جحد بل يعد ظاهرة انسانية تستحق الدراسة والوقوف عندها لغرض التعميم وأخذ العبر كونها تراثاً انسانياً متكاملاً ,ويعد نهج البلاغة للامام علي عليه السلام دستوراً عالمياً وأثراً تاريخياً, وفي اطار بحثنا هذا (الفكر القضائي عند الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة) سيتم تسليط الضوء على جانب من جوانب الحكم الرشيد والعدالة الاجتماعية في عهد امير المؤمنين علي عليه السلام حيث سنتطرق الى التعريف بالقضاء واهميته ومواصفات القاضي العادل فضلاً عن تناولنا للاجتهاد القضائي وعرجنا على بعض النماذج من الممارسات القضائية في عهد الامام علي عليه السلام .

الكلمات المفتاحية: الفكر القضائي , الامام علي عليه السلام , نهج البلاغة , الاجتهاد القضائي , صفات القاضي

Abstract

Imam Ali (peace be upon him) was not just an Islamic historical figure whose biography passed and ended, and those who were affected by him

١- جامعة اهل البيت عليهم السلام – كلية القانون muslam @ abu . edu.iq

were influenced by him and those who denied his position denied it. Rather, he is considered a human phenomenon that deserves to be studied and considered for the purpose of generalization and taking lessons, as it is an integrated human heritage. Nahj al-Balagha of Imam Ali (peace be upon him) is considered a global constitution and influence. Historically, and within the framework of our research (the judicial thought of Imam Ali (peace be upon him) in Nahj al-Balagha), light will be shed on an aspect of good governance and social justice during the era of the Commander of the Faithful Ali (peace be upon him), where we will address the definition of the judiciary, its importance, and the characteristics of a just judge, in addition to our discussion For judicial jurisprudence, we looked at some examples of judicial practices during the era of Imam Ali (peace be upon him).

Keywords: judicial thought, Imam Ali (peace be upon him), Nahj al-Balagha, judicial jurisprudence, qualities of the judge

المقدمة

أولاً: موضوع البحث

من المعروف ان الدراسات التي تختص بجوانب من فكر الامام علي عليه السلام تكتسب اهميتها ونوعيتها من كونها تدرس فيمن عُد سيد البلغاء والمتكلمين وفضلا عن ذلك فان نهج البلاغة الذي هو ابرز مصداق على هذا القول يمثل اساس البيان ومنهجا للكثير من العلوم وعلى جميع الاصعدة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والقضائية والعسكرية وقد شكل الامام علي اثرا بارزا في الحياة السياسية وادارة الدولة وفق سياسة الحكم الرشيد والعدالة الاجتماعية فقد كان وصى رسول الله صلى الله عليه وآله بان الامام علي يعد ابرز اعلام التاريخ الاسلامي فقد كلفه بكثير من المهمات العظيمة المتعلقة بروح الدعوة الاسلامية فاثبت جدارته وصدق ايمانه وسعة اطلاعه وخول الخلفاء الثلاثة على الاخذ بمشورته في كثير من القضايا السياسية والفقهية والاجتماعية والقضائية واخذوا بما افتى به واتبع نهج الرسول الاعظم في ادارة الدولة الاسلامية خلال فترة خلافته ,ونهج البلاغة يعد اثراً نادراً وكتابا فاخرا ذا قيمة علمية ومنزلة تاريخية جعلته في مكتبة الكتب الفريدة لاحتوائه على مضامين متعددة تخدم المجتمع وشخصية الامام عليه السلام شخصية فريدة من نوعها كونها تراثاً انسانياً متكاملاً أسس لبداية عصر التنوير حيث من المجحف القول ان بداية عصر التنوير كانت في النصف الثاني من القرن السابع عشر كان الامام علي عليه السلام قد سبق اليها في القرن السابع الميلادي وهذا ما اكده العديد من المؤرخين فضلاً عن ما تضمنه نهج البلاغة من التنظيم القانوني للدولة الاسلامية في مجالات الحياة كافة السياسية والادبية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ترسيخه للحكم الرشيد والفصل بين السلطات العامة القضائية والتنفيذية والتشريعية مسجلاً اسبقية في السلوك والتوجيه وعلى هذا الاساس أتجه الاهتمام العالمي بدراسة هذه الظاهرة بوصفها شعاراً للعدالة الانسانية بنظر الامم المتحدة التي تمثل اهم تجمع دولي في العالم اجمع وهذا تكرس في تولي لجنة خاصة في برنامج الامم المتحدة لدراسة عهد

الامام علي عليه السلام في مجالات الحياة كافة ومن جملة ما اهتم به البرنامج وصايا الامام عليه السلام لعامله وتابعه (مالك الأشتر) حين ولاهُ على مصر بالتمحيص والتدقيق وذلك لبلورة لوائح ومبادئ عرفية قانونية أصيلة توثق عمق حقوق الانسان في الضمير الانساني ومن خلال ذلك فإن البحث الاممي في تراث أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يتأسس على أسبقية الامام عليه السلام في ارساء السلام العالمي لمبادئ حقوق الانسان وهذا ما استقر عليه الفقه الدولي الانساني في الامم المتحدة ولاسيما مقولته المشهورة لعامله (مالك الاشتر) في أحد وصاياه على ان (الناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) هذه المقولة أسست للقانون الدولي الانساني واعتمدت في الاعلان العالمي لحقوق الانسان وسنتناول في هذا البحث جانباً من هذه المضامين الموجودة في نهج البلاغة يتمثل بالفكر القضائي عند الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة.

ثانياً :- اهمية البحث

تكتسب اهمية البحث من مكانة الامام علي عليه السلام التاريخية والانسانية في العالم اجمع فضلا عن اهمية افكاره التي تضمنها نهج البلاغة والذي من ابرزها المصادر العالمية المعتمدة في الحياة الكريمة.

ثالثاً :- مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث الاساسية التي نحن بصدد البحث عنها في الاجابة عن التساؤل المتعلق بمنهج من مناهج الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة المتمثل بالفكر القضائي عند الامام علي في نهج البلاغة,حيث من الملاحظ عدم تسليط الضوء على هذا الفكر بصورة كافية وعدم ايلائه الاهمية في البحوث ترتقي لمكانة الامام عليه السلام في مجالات الحياة كافة.

رابعاً :- منهجية البحث

للبحث في موضوع الفكر القضائي عند الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة كاحد ركائز دولة الحكم الرشيد التي اسسها الامام علي عليه السلام والتي باتت اثرا تاريخيا للانسانية جمعاء وفي تحقيق العدالة الاجتماعية مما يجعلنا اتباع المنهج التاريخي والوصفي التحليلي لتوصيف وتحليل خطب الامام عليه السلام والافكار القضائية التي نهجها الامام علي عليه السلام في الادارة المباشرة للدولة الاسلامية وغير المباشرة للقضاة المكلفين من قبله في ممارسة القضاء في الاقاليم الاسلامية.

خامساً :- هيكلية البحث

للاحاطة بموضوع بحثنا من كافة الجوانب قدر الامكانية سنقوم بتقسيمه على عدة محاور او مطالب كالاتي :-

المطلب الاول : تعريف القضاء لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : اهمية القضاء وصفات القاضي

الفرع الاول : اهمية القضاء

الفرع الثاني : صفات القاضي

المطلب الثالث : الاجتهاد القضائي وتمازج من الفكر القضائي للامام علي عليه السلام

الفرع الاول : الاجتهاد القضائي

الفرع الثاني : نماذج الفكر القضائي للإمام علي عليه السلام

خاتمة

اولاً: النتائج

ثانيا : المقترحات

المطلب الأول : تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً

سنتناول في هذا الاطار التعريف بالقضاء من الناحيه اللغوية والاصطلاحية وكالاتي :-

الفرع الأول : القضاء لغةً

وردت كلمة القضاء عند علماء اللغة بعدة معانٍ فقضي من قضيت بين الخصمين وعليها : حكمته والقضاء مصدر في الكل

واستقضيت : طلبت قضاة واقتضيت اقتضيت منه حقي ، اخذت ، وقاضيته : حاكمته[٢] واشار ابن الاثير الى ان القضاء هو الفصل والحكم واصله القطع والفصل ويقال: قضى يعني قضاء فهو قاضي واذا حكم وفصل وقضاء الشيء احكامه[٣] وقد استعمل القران الكريم القضاء بمعنى الحكم فقال تعالى : (ان ربك يقضي بينهم) [٤] , وقد يأتي بصيغة الامر بقوله تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا أياه وبالوالدين أحساناً)(٤) فهذا القضاء العاجل أو قد يأتي بمعنى الاداء كقوله تعالى (فاذا قضيتم مناسككم فأذكروا اللة)(٥)

الفرع الثاني : تعريف القضاء وفق المصادر القضائية الحديثة

اما من الناحية الاصطلاحية فقد جاء في قول ابن خلدون : منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع وقال الجرجاني: القضاء في الخصومة اظهار ما هو ثابت, عندما اقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دولته العظمى في يثرب (المدينة المنورة) اقام مجلس القضاء في جامعه الاعظم وتولى بنفسه الشريفة

---

٢ – احمد بن محمد بن علي المقربي الفيومي, المصباح المنير , دار الحديث , القاهرة , ٢٠٠٣ , ص ٣٦٦

٣ – محمد بن حسن بن فورك الاصبهاني, حدود الاصول , تعليق محمد السيلماني , دار العرب الاسلامي , بيروت , ١٩٩٩ ص ١١٥ .

٤ – سورة يونس / الاية ٩٣ .

٤ – سورة الاسراء /الاية ٢٣.

٥ –سورة البقرة / الاية ٢٠٠ .

٦ –علي حسن الخربوطي ,الحضارة الاسلامية , مكتبة الحانجي ,القاهرة ,ص ٤٩.

القضاء وفصل الخصومات وقد ترسخ ذلك في زمن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في صوره الرائعة للقضاء الاسلامي لكونه يضمن للناس كرامتهم وقد تاكد ذلك من خلال الروايات ومنها لما اراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ارسال الامام علي عليه السلام قاضيا الى اليمن قال له : ادني مني فدنا منه فضرب على صدره بيده وقال اللهم اهدِ قلبه وثبت لسانه قال امير المؤمنين علي عليه السلام فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام (٦)

ومن خطب الامام علي عليه السلام للقضاة قال : (ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم) ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات (٥)

المطلب الثاني : اهمية القضاء وصفات القاضي في فكر الامام علي عليه السلام

لا شك ان للقضاء مكانة عالية في حسم القضايا بين الاطراف المتنازعة وهذا يتطلب وجود قاضي ذي مواصفات خاصة للقيام بتلك المهام وفي ظل هذا الاطار سنقوم بتسليط الضوء على اهمية القضاء فضلا عن التطرق الى القاضي وكالاتي :

الفرع الأول : اهمية القضاء

ان اهمية القضاء تتجلى من خلال كونه من اهم اسس الدولة الاسلامية وترسيخه لاهم واجبات الحاكم وقد تحدث الامام علي عليه السلام مع شريح القاضي عن منصب القضاء ومدى اهميته في الاسلام من خلال قوله (يا شريح قد جلست مجلسا لا يجلسه الا نبي او وصي نبي او شقي) فالقضاء انما هو الفيصل بين الناس بالحق والعدل والمساواة لذلك فقد اولى الامام عليه السلام القضاء اهمية وعناية خاصة وقد اشار الامام علي عليه السلام الى اهمية القضاء في تقوية الدولة قائلاً : (لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه خواص الامور وعوامها) .(٦)

وجدير بالاشارة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الاوائل اشاروا الى براعة الامام علي عليه السلام ودقته في القضاء من خلال اصداره احكام هي غاية في الدقة وفي احتواء مسائل معقدة وجديدة لا سابق لها في المجال القضائي(٧) , من خلال كلام الامام علي عليه السلام نستشف اشتراطه في القضاة ان يكونوا افضل ابناء الامة وذوي مواصفات خاصة عن غيرهم .

ومن عهده لمالك الاشتر تلك التي تخص القضاء اروع ما يكون حيث قال عليه السلام (ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحمكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر

---

٥ – عز الدين بن عبد الحميد ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة, ج ١, كلام الامام علي عليه السلام – , ج ١,المكتبة العصرية , بيروت , ٢٠١١ , ص ٤٩ .

٦ – ابي جعفر علي بن الحسين الصدوق , اكمال الدين واتمام النعمة , منشورات مؤسسة النشر الاسلامي , طهران , ايران , ١٩٨٥ , ص ٤ .

٧ – محمد باقر جعفر , قضاء امير المؤمنين , مطبعة الاداب , النجف , ١٩٩٧ , ص ٦ .

من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه وأوقفهم في الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء اولئك قليل)[٨]

ويقصد اقلهم تبرما اي تضجرا وهذه الصفة من محاسن ما اشترطه عليه السلام فان القلق والضجر والتبرم قبيح واقبح ما يكون من القاضي ثم يقول بشرط اخر وهو ان يتطلع على احكامه وأقضيته فضلا عن فرضه عطاء واسعا يملا عينيه ويخفف به عن المرافق والرشوات ان يكون قريبا المكان منه كثير الاختصاص به ليمنع قربه سعاية الرجال وتقبيحهم ذكره عنده [٩]، ويتضح من كلام الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر ذكر امور من الاساسيات والمرتكزات لادارة اي دولة فاشترط ان يكون القضاة افضل الناس علما وتقوى وبذلك فعليه ان يتحمل المسؤوليات التي توكل اليه.

الفرع الثاني : صفات القاضي في فكر الامام علي عليه السلام

مهمة القضاة مهمة مفصلية ذات ابعاد مستقبلية على الخصوم في الفصل بينهم وعلى هذا الاساس فان للقاضي صفات عدة يمكن اجمالها بما ياتي :-

اولاً :- ان يكون له عقل نير وافضل الناس وان لا يضيق من الدعاوى التي ترفع اليه ولا ينزعج وان يكون صبورا في الحكم ولا يغضب امام المتخاصمين وهذا ما نبه الامام علي عليه السلام لقاضيه شريح قائلاً له : (لسانك ما لم تتكلم فاذا تكلمت فانت عبده فانظر ما تقضي وفيم تقضي)[١٠].

ثانياً :- ان لا يتمارى في الزلل وان ياخذ الامور التي تعرض عليه بتمعن وتبصر

ثالثاً :- ان يتبع الحق اذا تبين له بوضوح

رابعاً :- ان يبتعد عن الطمع والمصالح الشخصية

خامساً:- ينبغي ان لا يتصدى للحكم وهو ليس اهلا لذلك حيث اشار الامام علي عليه السلام بقوله (المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المهمات على ارائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه وقد اخذ منها فيما يراه بعدي ثقات محكمات) [١١].

سادساً :- يجب عليه ان يتأمل ويشخص في الحكم والدعاوى نظرة دقيقة وان يبذل قصارى جهده في احقاق العدالة

---

٨ - ابن ابي الحديد, شرح نهج البلاغة, ج ١ , ص ٤٤ .
٩ - ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة , ج ١,مصدر سابق , ص ٤٥ .
١٠ - محمد بن خلف بن حيان وكيع , اخبار القضاة , عالم الكتب , بيروت , ص ٦٦ .
١١ - ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة , ج ١, مصدر سابق , ص ٤٧ .

سابعاً :- ان يكون حكمه مستنداً الى الحجج القاطعة حيث ان الرسول عندما ولى الامام علي عليه السلام قضاء اليمن قال له (اذا احضر الخصمان بين يديك فلا تقضي لاحدهما حتى تسمع كلام الاخر) [١٢].

ثامناً :- اذا اعترضته في الدعاوى شبهات فيجب عليه ان يقف ولا يحكم حتى يثبت له الحق

تاسعاً :- عليه يكون صدره رحباً ولا يتململ من كثرة مراجعة المتخاصمين

عاشراً :- ان يكون متسلحاً بالصبر وصبورا حتى تتكشف غياهب الامور وان يكون صادقا في الحكم عند اتضاحها فضلا عن ذلك لا يميل لأي طرف من المتخاصمين على حساب الاخر وان يستمع لكليهما

حادي عشر :- ان لا يزدريه اطراء الناس ولا يميله اغرائهم [١٣].

مما سبق يتضح اهم مواصفات القاضي في دولة الامام علي عليه السلام وصفاته والمشار اليها في نهج البلاغة والمنصوص عليها بشكل صريح في خطب الامام علي عليه السلام ووصاياه لقضاته في الولايات الاسلامية خلال فترة خلافته عليه السلام

ويشمل الفكر القضائي للامام علي عليه السلام تتبع القاضي لكي تتوضح فيما اذا كان مقصرا في عمله بعد ان يوكل اليه مهام القضاء ويتابع مدى تطبيقه لاحكام القضاء كون المسائل القضائية في بالغ الاهمية اذا ما طبقت على الناس بصورة صحيحة وهذا ما تبلور في قول الامام علي عليه السلام لمالك الاشتر بقوله (ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا)[١٤].

نلاحظ ان الامام علي عليه السلام ينبه الى الاسراع في اعطاء مرتب للقاضي لقاء مهامه مؤكدا على ناحية مهمة من نواحي القضاء وترقيته من خلال ترقية حال القاضي وتامين متطلبات العيش له و حفظ منزلته في حين يقول (اعطيه من المنزل لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك)[١٥] .

وجدير بالاشارة ان جورج جرداق اوضح بقوله ان الامام علي عليه السلام اول من فصل بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية اذ كانت السلطات الثلاث (القضائية ، التنفيذية ، التشريعية) موحدة غير منفصلة في زمن الامام علي عليه السلام لذا خطا خطوة مبدئية لاكساب القضاة حصانة وتامينهم من عقاب السلطان وبهذا يكون الامام علي عليه السلام قد قضى على السبب الاول من اسباب انحراف القضاء اذ خطا هذه الخطوة المبدئية

١٢ – ابو الحسن علي بن محمد الماوردي , الاحكام السلطانية , دار الحديث , القاهرة , ٢٠٠٦ , ص ٨٦ .
١٣ – ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة ,ج ١, مصدر سابق , ص ٤٤.
١٤ ا لمصدر السابق , ص ٤٥ .
١٥ – توفيق الفكيكي , الراعي والرعية , مطبعة اسعد , بغداد , ١٩٦٢ , ص ١٢٢ .

نحو فصل القضاة عن السلطة التنفيذية حتى لا يتأثر القضاة باصحابها وهذا ما اكد عليه العديد من الفقهاء وبتاكيدهم بان الغرض المهم من استقلال المحاكم الذي توخاه الامام في وصيته لعامله هو لم يثق في عدالة الاحكام وصيانة الحقوق لان المحاكم لا تكون مرجعا موثوقا عند الناس الا اذا كانت مصونة من التأثير والنفوذ (١٦).

المطلب الثالث : الاجتهاد القضائي ونماذج الفكر القضائي للامام علي عليه السلام

من متطلبات الفكر القضائي في الحاكم بين المتخاصمين لجوء القاضي الى الاجتهاد وهذا ما سنتطرقه خلال هذا المطلب ومن ثم سنتناول نماذج من فكر الامام علي عليه السلام في القضاء وكالاتي:

الفرع الأول : الاجتهاد القضائي

بعد ان وضع الامام علي عليه السلام المعايير والشروط التي يجب ان يمتاز بها الشخص الذي يتولى منصب القاضي فقد اشار الى امر في غاية الاهمية يتمثل في بعض القضايا التي يمكن استنباط الحكم لها من خلال القران الكريم والسنة وذلك بقوله : (ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استفتاهم فيصوب اراءهم جميعا وربهم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه أم انزل الله سبحانه دينا ناقصاً فأستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وادائه والله سبحانه وتعالى يقول(ما فرطنا في الكتاب من شيء) (١٧) ,وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضا وان لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)(١٨),

ولما كان الله سبحانه وتعالى واحداً والرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحداً والكتاب واحد وجب ان يكون الحكم واحداً في الواقعة كما في حالة قيام الملك بارسال رسول بكتاب يأمرهم فيه باوأمر يقتضيها ملكه وامارته فانه لا يجوز ان يتناقص امره ولو تناقض لنسب في السفه والجهل (١٩), وفي مكان اخر يقول الامام علي عليه السلام (فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك معه البصر ولا تتغلغل آية الفكر)(٢٠).

وقوله عليه السلام في مسالة اجتهادهم في الرأي ثم جملة الاخبار لاطرافك قضاة تجتهد فيهم بنفسه لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسند رسوله فان اختلاف الحكم اضاعة للعدل وعزة في الدين وسبب في الفرقة

١٦ – المصدر السابق , ص ٤٥ .
١٧ – سورة الانعام / الاية / ٣٨ .
١٨ – سورة النساء / الاية / ٨٢ .
١٩ – ابراهيم السامرائي ,مع نهج البلاغة دراسة ومعجم – , دار الفكر , عمان , ١٩٨٧ , ص ٢٣٦ .
٢٠ – ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة , ج ١,مصدر سابق , ص ٤٦٢ .

[٢١] وقد خاضوا بحار الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وهذا ما ذهب اليه الكثير بقولهم ان هناك بعض الاحكام القضائية التي انفرد في صفة الحكم بها ومعالجتها اذ ان المتأمل في هذه القضايا لا يستغرب حقا من مجريات الحكم واستنطاق الشهود واثبات الادلة فيها اذ نجدها قد اخذت مستندا اعتمد عليه الفقهاء فيما يعد المشابه منها الأحكام ومن خلال ذلك نستطيع القول ان القضايا التي حكم بها الامام علي عليه السلام قد اصبحت بمنزلة دستوراً لكل احد بعده او اثناء حياته وذلك بشهاده المؤالف والمخالف[٢٢]. لاقوال الامام علي عليه السلام حول الاجتهاد القضائي

الفرع الثاني : نماذج من الفكر القضائي للامام علي عليه السلام في نهج البلاغة

بعد ان اوجزنا اهمية القضاء وصفات القاضي في فكر الامام علي عليه السلام والاجتهاد القضائي وكما مشار اليه ضمن خطب الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة وجدنا من الضروري اتطرق لبعض النماذج من الحياة القضائية في فكر الامام علي عليه السلام وكما جاء في نهج البلاغة ومن تلك النماذج :

أولاً: روي ان شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين اقره القضاء وسخط عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ثم رضي عنه واعاده الى الكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه عليه السلام ذلك فإستدعى شريحاً وقال له بلغني انك ابتعت داراً بثمانين دينار وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال فنظر اليه عليه السلام نظر مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسالك عن نيتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك الى قبرك خالصاً فأنظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من حلالك فاذن انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة أما انت لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة فلم ترغب في هذه الدار بدرهم فما فوق والنسخة هذه : هذا ما اشترى عبد ذليل من بيت قد ازعج للرحيل اشترى فيه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الافات والحد الثاني ينتهي الى دواء المصيبات والحد الثالث ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب و الضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على المال فاكثر من بنى وشيء وزخرف ونجر وادخر واعتقد

٢١ – ميثم بن علي بن ميثم البحراني , شرح نهج البلاغة , مؤسسة الاداب الشرقية , النجف , ص ١٣٣.
٢٢ – ابي الحسن محمد بن يحيى الشافعي , ادب الشهود , المطبعة العربية , بغداد , ١٩٩١ , ص ١١٨.

ونظر يزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء [٢٣].

ونستشف من كلام الامام علي عليه السلام قمة البلاغة والفقه و يدل منه على زهد شديد في الدنيا واستكثار للقليل منها وقد كان للامام دور في تقديم النصح لقاضيه ليتلافى الاخطاء الذي كاد ان يقع فيها.

ثانياً: عندما وجد الامام علي درعه عند يهودي او مع رجل نصراني فاقبل به الى القاضي شريح يخاصمه فلما جاء جلس الى جنب شريح وقال : يا شريح لو كان خصمي مسلما لما جلست الا الى جنبه ولكنه نصراني وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كنتم واياهم في طريق فاضطروهم الى مضائقه ثم قال : هذا درعي لم ابع ولم اهب فقال النصراني ما الدرع الا درعي وما امير المؤمنين بكاذب فالتفت شريح و قال يا امير المؤمنين هل من بينة فضحك علي عليه السلام وقال اصاب القاضي مالي ببينة فقضى شريح بها للنصراني فمشى النصراني خطوات ثم رجع وقال اما انا فاشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان هذه احكام الانبياء الدرع والله يا امير المؤمنين درعك اتبعت الجيش وانت منطلق الى صفين فطرق من بعيرك الاورق[٢٤]، فاخذته فقال الامام علي عليه السلام : اما اذا اسلمت فهي لك وحمله على فرس[٢٥]، يتضح لنا من خلال ما تقدم امور ادارية كثيرة ومنها :-

١- اراد الامام علي عليه السلام ان يوضح للامة الاسلامية من خلال وقوفه امام القاضي وهو الحاكم فضلا عن ذلك هو العالم بامور القضاء هو والخصم ولم يكن قد حدث هذا في تاريخ الامة.

٢- انما اراد القول ان القضاء العادل يجب ان ينفذ حتى لو كان على الحاكم نفسه .

ثالثاً :الامام علي عليه السلام ينقذ رجلا عالماً بالقران من عمر بن الخطاب وذلك عندما سأل عمر رجلاً كيف انت فأجابه ممن يحب الفتنة , ويكره الحق, ويشهد على ما لم يراه, فأمر به الى السجن , فأمر الامام علي عليه السلام برده فقال صدق الرجل فقال عمر كيف صدقته قال يحب المال والولد وقد قال الله تعالى : انما أموالكم وأولادكم فتنة, ويكره الموت وهو الحق , ويشهد ان محمداً رسولاً ولم يراه, وعلى اثر ذلك أمر عمر بأطلاقه وقال الله يعلم حيث يجعل رسالته (٣)

رابعاً: من الاحكام القضائية والمواقف المشهودة للامام علي عليه السلام انه عمر بن الخطاب عندما رفعت اليه أمراة ولدت لستة أشهر فهم برجمها ,فبلغ ذلك علياً فقال : ليس عليها رجم فبلغ ذلك عمر فأرسل اليه

---

٢٣ – ابن ابي الحديد , شرح نهج البلاغة, ج١,مصدرسابق, ص ٢٥٣ .

٢٤ – ابو القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني , المفردات في غريب القران , دار المعرفة , ط ٢ , بيروت , ١٩٩٩ , ص ٥٣٥

٢٥ – محمد بن احمد الشافعي , جواهر المطالب في مناقب علي بن ابي طالب , مجمع احياء الثقافة الاسلامية , قم , ١٩٩٤ , ص ٣٤٣.

٣ – الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي , سلوني قبل ان تفقدوني من مختصات مولانا أمير المؤمنين علي ع –, ج ١, منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , بيروت ,١٩٨٥, ص٩٧.

٤ – المصدر السابق , ص ١٠٤.

فسأله فقال :قال الله تعالى : والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين , وقال : وحمله وفصاله ثلاثون شهراً فسته أشهر حمله وحولين فذلك ثلاثون شهراً , فخلى عنها وبذلك فقد أنقذ الامام هذه المرأة من القتل (٤).

ومما سبق فهذه غيض من فيض الفكر القضائي العادل للامام علي عليه السلام الذي رسخ واسس ثوابت لادارة الدولة الاسلامية من خلال الحكم الرشيد والعدالة الاجتماعية والمساواة والفصل بين السلطات ومنح القضاء مكانة واهمية عالية من خلال اختياره للقائمين على القضاء من العناصر الكفوءة والمشهود لها بالنزاهة والدراية بالشريعة الاسلامية واحكامها فضلا عن ممارسته سلطة الرقابة المباشرة على مهامهم والتقييم والتقويم المستمر لهم.

الخاتمة

بعد تناولنا بشكل موجز الفكر القضائي عند الامام علي عليه السلام توصلنا الى جملة من النتائج والمقترحات نشير الى البعض منها

اولاً :- النتائج

١- ان نهج البلاغة قد ضم في طياته توصيفاً دقيقاً لادارة الدولة في المجالات كافة و منها النمط القضائي الاسلامي المستوحى من القران الكريم ومن احاديث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكرها للامام علي عليه السلام وبذلك فان دراسة الحياة السياسية للدولة تصل بنا الى تصور كامل لطبيعة الحياة السياسية المثالية ومنها القضائية والقانونية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية التي ارادها الرسول لامته من بعده ومن ضمنها طبيعة الشخصية التي تخلف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفق المعيار الاسلامي الرصين وعلى هذا الاساس فان ما جاء في نهج البلاغة يهدف الى وضع المسلمين على الطريق الصحيح وجادة الصواب وازالة الخلاف اذ تم الالتزام بهذا النهج بدقة وموضوعية.

٢- من النتائج التي تمخض عنها هذا البحث خصوصية نظرة الامام عليه السلام للحياة الكريمة في مرافقها ومجالاتها فهو لم يتخذ مصدرا غير القران والسنة النبوية لرسم ملامح الحياة الكريمة للمجتمع الاسلامي والمجتمع الدولي عموماً.

٣- لوحظ من خلال استقراء خطب الامام علي عليه السلام بانه قد حرص على نبذ الخلافات الاسلامية والى تحديد معايير غاية في الدقة لكل مفاصل الدولة سواء كان على الصعيد المالي او الاداري والعسكري او السياسي او الاجتماعي او القضائي فضلا عن اتباع سياسة الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية والى وضعه معايير للافراد سواء كانوا عامة ام قادة يمكن ان تعتمد لتكون اساساً في تشكيل اي مؤسسة ادارية وسياسية .

٤- لاحظنا صورة الدولة العصرية على وفق رؤية الامام علي عليه السلام والتي لم تكن رؤية مسطرة في مبادئ اسلامية فقط بل انها نظرية ذو دلالات انسانية وايحاءات باسلوب علمي دقيق فقد اعطى الامام مدلولا للادارة في النهج وقد كان فكره موجهاً لادارة الامة ادارة منظمة وعدم استخدام القاضي او الحاكم اساليب العنف والبطش والاستبداد وكان ساعياً لنشر الحق في ربوع الارض متبعا بما جاء عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

٥- تبين ان خطاب الامام علي عليه السلام ووصاياه للقضاة والولاة في الاقاليم الاسلامية وافكاره التي تضمنها نهج البلاغة قد تبنتها تقارير الامم المتحدة وترجمت الى عدة لغات عالمية واصبحت دستوراً عالمياً ينظم الحياة الانسانية والعدالة الاجتماعية والحكم الرشيد.

٦- لوحظ ان طريقة الامام علي عليه السلام في الحكم استندت الى التركيز على الديمقراطية والشورى والمشاركة الجماعية والسلم الاجتماعي والتعايش السلمي بين جميع الطوائف والى حماية حقوق الانسان وبذلك رسم منهجاً للحكومات العادلة والقضاة والحكام العادلين وهذا القول ان الامام ليس ابن جيله فقط بل هو لكل الاجيال بصرف النظر عن انتمائهم العرقي وهذا واضح وجلي من خلال سياسته في ادارة الدولة الاسلامية.

ثانياً :- المقترحات

١. من الضروري جدا اتباع سياسة الامام علي عليه السلام في ادارة الدولة الحديثة وفي ترسيخ الحياة الكريمة وفي مفاصل الدولة كافة ومنها الحياة السياسية والاجتماعية والقضائية والعسكرية والثقافية.
٢. نرى الالتزام بمعايير والمواصفات التي رسخها الامام علي عليه السلام في اختيار القضاة والولاة وتعينهم.
٣. من الضروري تدريس نهج البلاغة الامام علي عليه السلام في المعهد القضائي والمراحل الدراسية واعداد حلقات دراسية نقاشية حوله.
٤. نرى ادخال مضامين الفكر القضائي للامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ضمن التشريعات الوطنية والعالمية .
٥. قيام مؤسسات المجتمع المدني والجامعات ومنظمات حقوق الانسان بالتوعية المجتمعية حول ما تضمنه نهج البلاغة للامام علي عليه السلام في رسم سياسة المساواة والعدالة الاجتماعية والتسامح والتعايش السلمي في المجتمع.

المصادر

القرآن الكريم

الكتب

١. ابراهيم السامرائي ، نهج البلاغة ، دار الفكر ، عمان ,١٩٨٧.
٢. ابو الحسن علي بن محمد الماوردي ، الاحكام السلطانية ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
٣. ابو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، المفردات في غريب القرإن ، دار المعرفة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٩.
٤. ابي الحسن محمد بن يحيى الشافعي ، أدب الشهود المطبعة العربية ، بغداد ، ١٩٩١.
٥. ابي جعفر علي بن الحسين الصدوق ، اكمال الدين واتمام النعمة ، منشورات مؤسسة النشر الاسلامي ، طهران ، ايران ، ١٩٨٥.
٦. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، دار الحديث القاهرة ، ,٢٠٠٣.
٧. توفيق الفكيكي ، الراعي والرعية ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٦٢.
٨. جعفر بن محمد الباقر ، قضاء امير المؤمنين ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٩٧.
٩. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، دار الكتب ، بيروت ، ١٩٩٢.
١٠. عز الدين بن محمد الحميد ابن ابي الحديد ، ج ١,شرح في نهج البلاغة كلام الامام علي عليه السلام ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠١٧.
١١. علي حسين الخربوطي ، الحضارة الاسلامية ، مكتبة الحانجي ، القاهرة .
١٢. محمد بن أحمد الشافعي ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب. مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، قم المقدسة ، ١٩٩٤.
١٣. محمد بن حسن بن فورك الأصبهاني ، حدود الأصول ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٩.
١٤. محمد بن خلف بن حيان وكيع ، أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت.
١٥. ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، مؤسسة الاداب الشرعية ، النجف الاشرف.
الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي , سلوني قبل ان تفقدوني من مختصات مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام, ج ١